Journal Of the Iraqia University (75-8) May (2026)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIline ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

مركزية الهامش في روايات ميسلون هادي

غادة أحمد سرحان

الجامعة العراقية كلية التربية للبنات

أ. د. فاتن عبد الجبار جواد

الجامعة العراقية كلية التربية للبنات

The Centrality of the Margin in the Novels of Mislon Hadi

Ghada Ahmed Sarhan
Iraqi University – College of Education for Women
Prof. Dr. Faten Abdul-Jabbar Jawad
Iraqi University – College of Education for Women

المستخلص:

تبيّن الدراسات الثقافية أنّ الهامش لم يعد مساحة معزولة، بل أصبح مجالاً فاعلاً يتحرك تجاه المركز بفعل الوعي والمعرفة وتفكيك سلطة الخطاب التقليدي. وتوضح الروايات المدروسة أن الشخصيات المهمَّشة تسعى للتحرر من القيود الاجتماعية عبر الأمل والعمل والعاطفة وكسر العادات. ويظهر صعود الهامش من خلال التحول النفسي والاجتماعي والثقافي الذي يجعل المهمَّش يمتلك قدرة على التأثير لا التلقي فقط. كما يتجسد الصراع الثقافي عبر مواجهة الأفكار السلطوية والبحث عن وعي نقدي جديد أكثر انفتاحاً ومرونة. وفي النهاية يصبح التغيير الإرادي والتجدد الفكري والاختلاط الثقافي أدوات تساعد الهامش على اكتساب مركزية جديدة داخل المجتمع.

الكلمات المفتاحية: المركزية والهامش، السرد النسوي، ميسلون هادي، تحليل الخطاب الروائي.

Abstract:

Cultural studies indicate that the margin is no longer an isolated space, but has become an active domain moving toward the center through awareness, knowledge, and the deconstruction of traditional discourse. The examined narratives show that marginalized characters strive to free themselves from social constraints through hope, work, emotion, and breaking established norms. The rise of the margin appears through psychological, social, and cultural transformations that enable the marginalized to influence rather than merely receive. The cultural conflict is also embodied in confronting authoritarian ideas and seeking a new critical consciousness that is more open and flexible. Ultimately, voluntary change, intellectual renewal, and cultural interaction become tools that help the margin acquire a new form of centrality within society.

Keywords: Centrality and Marginality, Feminist Narrative, Maysaloon Hadi, Narrative Discourse Analysis

المقدمة:

ممّا لا شك فيه أنّ الدراسات الثقافيّة بوصفها رؤى، وممارسات، وقراءات طرحت خطابها التنويريّ الجديد في ظلّ انبثاق أسئلة جديدة تتعلّق بممارسات متداخلة المعارف (Interdisciplinary) التي تهدف إلى فهم الظواهر الثقافيّة المعاصرة التي تعنى أساسا بالصلات المتبادلة بين إنشاءات إنسانيّة متنوّعة تسعى إلى تحليل الشروط التي تؤثّر في انتاج أنماط المؤسّسات، والممارسات، والمنتجات الثقافيّة، وتعنى باستقبالها، لتبيّن أهميّتها بهدف تحديد الأداء الوظيفي للقوى الاجتماعيّة،والاقتصاديّة، والثقافيّة، والسياسيّة، وبنى السلطة التي تنتج الأشكال المتنوّعة للظواهر الثقافية[١] التي لها صلة بالمجتمع، ولا سيما في قضايا المهمشين. لقد وضحت رؤى الدراسات الثقافية منذ البدء حين عَبَرَت الحدود الفاصلة بين العلوم المختلفة، والفنون بهدف اللجوء إلى التكامل الثقافي الأكثر جذريّة[٢]، ذلك الذي قادها فيما بعد إلى (بينيّة) تكامليّة معرفيّة لم تعد تعترف بالحدود الفاصلة بين مختلف العلوم الإنسانيّة، إذ بادرت إلى كسر العوائق، وعبور جغرافيّتها لتعتمد أثناء ممارساتها الإجرائيّة على المجالات

المعرفيّة المجاورة مثل: المقولات الماركسيّة، وعلم الاجتماع،والأنثروبولوجيا الثقافيّة، والسيميائيّة، ونظريّات الأعماق، والكولونياليّة[٣]، متجاوزة ما هو تقليديّ إلى حقول أخرى من دون أن تَفْصل بين ثقافة، وأخرى أو بين إنسان وآخر، أو بين بيئة وأخرى، رافعة راية البحث في الثقافة بوصفها كمّا ينتج كيفا بلا فوارق وتعدّدات، وهذا ما قاد فيما بعد إلى صعود ما كان هامشا في الحياة ليكون شكلا من أشكال التحرّر المنفلت من قيد السلطة. المقصود بمركزيّة الهامش تلك اللحظة التي يتحول فيها الهامش من موقع العزلة الوجودية في الحياة إلى موقع مركزي جديد بفعل عوامل كثيرة من أهما امتلاك السلطة، فمركزية الهامش هي خلاصة صراع حضور وغياب بالدرجة الأولى، فكلاهما يبحث عن تشكيل نقطة محورية تتحرك حولها الشخصيات الحالمة في التغيير، فقد تكون ((علائق الغياب ذات صفة تبادلية مع وحدات أخرى مشابهة لها دلالياً أو اشتقاقياً أما علائق الحضور فقد تكون ذات صفة تتابعية مع الوحدات المجاورة لها، التي تسبقها أو تلحقها في الخطاب الملفوظ، ذلك أن الإشارة لا تكتسب معناها من ذاتها، بل من مجمل العلاقات التي تقيمها مع بقية الإشارات))[٤]، وهذه الخطوات الفكرية تعطي صورة جديدة للهامش وتحوله إلى مركز تأثير وتغيير وليس تأثر وانزواء خلف مركزية المركز. فقد يلجأ النص في تشكيل مركزية الهامش إلى الاعتماد على البنية اللغوية التي تحيل داخل النص إلى خارجه وليس العكس؛ لأن الإحالة من الداخل تقلل من فرصة وجود المؤلف، وتفعل عنصر التأويل، فيكون الوعي الممكن المستند على الاستشراف المستقبلي ملازماً للوعي القائم، وهذا من سمات وأساسيات الخروج من الهامش إلى المركز المؤثر، ويكون هذا في اتجاهين:

المبحث الأول صعود الهامش

لقد قاد الشعورُ بالغبن والتسلّط الذي وقع على الهامش طيلة قرون المفكرين، والنقاد، والأدباء لأن يتدبّروا الأمر فيما بينهم سعيا نحو الانفتاح المعرفي والثقافي، فكانت الفرصة سانحة فيما قدّمت الدراسات الثقافيّة، ومن ثمّ النقد الثقافي حلولا واجهت معضلة الهامش بدراسات حاولت تفكيك أساليب الهيمنة، والتسلّط التي مارسها الخطابُ المركزيّ وهو يرى الذات المهمّشة، ويخضعها لقيم معيّنة ورغبات؛ هي رغباته بالتأكيد، إنّ ما ميّز تلك الدراسات إسهامها في العناية بالمهمل، والمهمّش، وتوجهها نحو نقد أنماط الهيمنة، ممّا فتح أبوابا من البحث ذي الاتجاه الإنساني النقدي الجريء والديمقراطي[٥]، الذي يحاول انقاذ البشريّة من سبات عميق. ويحدث ذلك عندما يتحول الهامش إلى مركز ويلاحظ هذا في تبادل الأدوار نتيجة للتغيرات التي تصيب بلد ما سواء على المستويات الاجتماعية وغيرها عالجت ميسلون هادي الواقع عندما انطلقت منه لبيان عدم استسلام الهامش لواقعه، بل الرغبة في تغيير ظروفه وآماله وطموحاته وهي تقول: ((**الحمد لله أن اسمه عبد الأحد.. وكان يشبهني إلى حد كبير.. ويتكلم بهدوء شديد لكي لا أفزع، ولا أخاف.. وهو الذي قال لي عن الحجاب لا تخلعيه يا ابنتي.. دعيه كما تشائين. كوني على راحتك ولا تخافي من شيء.. كأنني عبرت نهراً عريضاً بلا قارب**))[٦].النص السابق قرأته في رواية (زينب وماري وياسمين) التي تنفتح على حياة طفلة اسمها(ياسمين) وُلدت في ٢٩ شباط أي في السنة التسعينيّة الكبيسة التي اقترنت وقصف الطائرات الامريكيّة لبغداد، ففي تلك الليلة حضر مصوّر فرنسيّ إلى مستشفى الولادة ليصوّر مواليد تلك الليلة الفريدة فكان أن حملت الممرضة الأطفال الجدد، وفي لحظة هرج ومرج القصف الجويّ تمّ تبديل ياسمين عبد الأحد بياسمين عبد الواحد، وهذا ما كشفته أحداث سنوات لاحقة تمّ فيها تصحيح (الخطأ) كما تقول الرواية!!.والنص السابق يتحرك في إطار النهوض بالشخصية أو الدعوة إلى ذلك، كجزء من التغير الاجتماعي أو الدعوة له، فجسد تركيب (لا تخافي من شيء) دلالة على تغير اجتماعي يتمثل بصعود الهامش الذي كان يعاني سابقاً وآنياً، ومحاولة معالجة واقعه للأفضل من خلال حرية الرأي والفكر الذي يؤدي إلى تغيير الواقع.فالأمل سمة نفسية تتحرك الكاتبة فيها وتنقلها عبر الشخصيات، فتجسده في نص((**وجب عليّ منذ ذلك اليوم أن أكون نائمة أنتظر الرجل الذي سيقبلني ويوقظني من النوم**)) [٧]، فترفض الشخصية الاستسلام أو الركون إلى الرحة وتبحث عن نقطة مضيئة منتظرة تعزز ثيمة الاستشراف الزمني في (أنتظر الرجل...) أي: انتظار المخلص الذي يعالج الهامش بالصعود وتغير الفوارق الموجودة بين المركز والهامش.ومحاولة صعود الهامش محاولة لا إرادية عند الإنسان، فهي صورة من صور الصراع مع الواقع ولهذا نلمح ثيمة رمزية لهذا في ((**وقالت: كوني قوية مثلي يا ياسمين ولا تظهري بمظهر الضعيف أبداً لأن القوي لن يكون قوياً إلا بوجود من هو أضعف منه**))[٨]، إذ يحاول النص وأد المركز المتسلط، بدعوة أن الهامش يجب أن يشكل حضوره في علاقة مضادة (كوني قوية) ثيمة عن الصبر الذي هو ديدن كل إنسان يعاني ويتألم، ثم (ولا تظهري بمظهر الضعيف...) معالجة الواقع النفسي والانطلاق إلى هامش أوسع وأكبر، وربما يحطم قيود المركز ويؤسس لعلاقة توازي العلاقات المركزية الأخرى.حتى العمل والإنتاج هو من صور صعود الهامش بفعل تغيير إرادي يملكه الإنسان، فالتغيير تجسد عندما ((**ماري سحبت عربتها المفضلة التي تضع فيها أكواب الشاي مع الكيك والكرواسات.. قالت إنها تبرعت بمصاريف حفلة رأس السنة لليتامى والمساكين..**)) [٩]، مقدماً سلسلة من صور تعاور الهوامش ومحاولة التعاون من أجل الصعود، وجعل الهوة بينه وبين المركز متقاربة، فالعمل هو

حضور والإنتاج هو تقدم وصعود، ووظيفة الشخصية التحرك في هذه الدائرة التي ترتقي بالهامش وتجعل الصعود والارتقاء ممكناً ومتحققاً، وهذا الحضور يحمل من السمو والرفعة والهدف (تبرعت بمصاريف...) وهذا تحول في صفات الهامش وانتقال إلى مرحلة يعالج فيها مشاكل الواقع اقتصادياً واجتماعياً.ولا تنس الكاتبة أن تلجأ إلى العواطف التي تعزز الروحية والجانب النفسي عند الهامش **((في رحلة جامعية بدأ حبنا.. كنا مجموعة من الطلاب نتجمع حول بائع التذاكر في جزيرة الأعراس وسط نهر دجلة، فأخذ إبراهيم يعزلني عنهم شيئاً فشيئاً، وجعلني أجلس بقربه بينهما الآخرون يتركوننا عن قصد..))**[١٠]، فالعاطفة ترتقي بالهامش؛ لأنها تعيش تحول نفسي وتعبير عن تشظيات الذات الحالمة، فالعاطفة تساوي الأمل، والأمل يساوي السعادة، والسعادة تساوي الرضا، وهذه علاقات تصاعدية تعزز الحضور والتأثير، وعزز في (في رحلة جامعية...) تحول من الانعزال إلى الانفتاح والتحول إلى حياة اجتماعية حالمة مختلفة وهادفة. ومسألة الحلم من المسائل التي تشغل الهامش في أدق تفاصيل حياته **((طال ذلك الحلم ثلاث سنوات قلنا فيها كل شيء في رسائل وقصائد لا تنتهي.. ريش في الهواء.. بعيد عن كل شيء حزين.. عن النار والنهر.. عن الأطفال الوسخين والثياب الممزقة. عن زينب وزمان وماري..))**[١١]، فهما طال الحلم لابد من نقطة النهاية، فمثلت نقطة (طال ذلك الحلم...) إحالة إلى رغبة في التحول من حال إلى حال، من الواقع إلى الخيال الذي هو موطن السعادة والتأمل عند الإنسان بشكل عام.فلا ينتهي الأمل عند الإنسان مهما اتسعت الهوة بين المركز والهامش؛ بسبب حركية الهامش ورغبة التخلص من قيد الطبقية الاجتماعية؛ وميسلون هادي تحاول جعل هذه المعادلة هي المسيطرة على مشهد الصعود **((استعملت شامبوات الأطفال بدلاً من المنظفات لكي تنتشر رائحة السرور في كل أرجاء الشقة، وبإبرة صغيرة خلقتها من العدم، رحت أنظف ثقوب الدوش التي سدتها شوائب الماء، فلا شيء يمسح الحزن سوى وفرة الماء وكثرة الحركة..))**[١٢]، فيتمحور النص حول الفرح الذي يتجسد في أدق الأشياء (رائحة السرور)، فالفرح أو الشعور به هو انتقال بالهامش إلى عوالم أخرى، تعزز رغبة التغيير وعدم الثبات الانفعالي.ثم إن طبيعة الهامش هنا طبيعة إنسانية تبحث عمّا يشغلها وينتقل بها إلى متغير نفسي أفضل **((سننسى كل الأيام ولا نتذكر منها سوى هذا اليوم الواحد.. زين وباقي الأيام؟ زايدة؟ ناقصة؟ حلوة؟ مرة؟ سهلة؟ صعبة؟ سننساها كلها لأنها لم تكن سوى قطار يطير ويمشي من أجل هذا اليوم))**[١٣]، وبالتحديد تجاوز الماضي بكل ما فيه من آلام (سننساها كلها...) فيركز على التحول من الهامش إلى وضع نفسي أكثر تجاوزاً لحمولات الماضي.وتجلى ذلك في رواية (انتظرني في البيت) للروائية نفسها: **((لا أعرف ما هو اسمي بالضبط.. ولم أر هذه الدنيا إلا في ذلك اليوم الذي سمعت فيه ضحكة (شمس) وهي توقظني من النوم... هبت الريح التي حركت باب الكوخ وأوراق الشجر...))**[١٤]، إذ الريح والضوء نهوض وخروج من قوقعة المتاهات إلى إشراقات النفس التواقة للخلاص والانتقال إلى صورة تريد الخروج من الهامش الذي ترزح تحته الشخصية؛ لما يرتبط بالضوء من الأمل والحركة نحو الأجمل، وصراع الحضور والغياب لا ينفك يحقق الجدلية بين الثنائيتين. فالحركة وعدم السكون هو السبيل للنهوض من الهامش الذي يقيد الإطار النفسي **((استعملت شامبوات الأطفال بدلاً من المنظفات لكي تنتشر رائحة السرور في كل أرجاء الشقة، وبإبرة صغيرة خلقتها من العدم، رحت أنظف ثقوب الدوش التي سدتها شوائب الماء، فلا شيء يمسح الحزن سوى وفرة الماء وكثرة الحركة..))**[١٥]، إذ النص لا يقدم السكون طريقاً للخلاص، بل يأد الحضور للهامش ويجعله غائباً (فلا شيء يمسح الحزن) ويقدم صورة استبدالية وهي حضور الصعود والولوج إلى عوالم تغادر الحزن، الذي لا ينفك يلازم الشخصية العراقية، فالحركة تقدم العمل، والعمل يقدم النتيجة، والنتيجة هي علاقات الصعود والهبوط.والتركيز على الصعود دائماً ما يغذيه المجتمع، وميسلون هادي تركز على هذه الثيمة الإشارية **((نادرة في تعبيرها الخاص عن الزمن، اعتبرت كل يوم مر بعد ذلك هو عام كامل مما نعد، وجعلها تألف الأراضي المعشبة والمجدبة التي يتجول فيها وحيد القرن.. ظننتها موشكة على الانقراض مثله، ولكنها كما هي تبحث عن أقدم التصورات في هذا العالم..))** [١٦]، فالتآلف هو مصطلح يعطي صورة لعلائق الإنسان مع محيطه والاندماج معه ومحاولة تشكيل الواقع الجديد، فكل المشتتات والمخاطر تجعل ردة الفعل هو الإيمان بوقتية هذه المخاطر وحتمية التخلص منها في لواحظ الزمن اللاحق.وجدلية الذات في النقد تشتغل بين الصحيح والأصح عند ميسلون هادي **((إذن علينا الحذر من وظيفته السياسية. قد تحقق الانتقام من الظالم عن طريق الضحك المجرد، أو تؤدي إلى نسيان الفشل الذي عليه الحاكم. –أنا لا أتحدث عن الجانب المظلم للضحك.. أنا أتحدث عن الضحك الجيد مع أناس جيدين.. إنه يترك أثراً عميقاً في النفس))** [١٧]، فتظهر فوارق الضحك بقدر تعلقها بالغايات، فـ(الضحك المجرد..) يتمحور حول الطبيعة التكوينية للإنسان المجرد من الأهداف والغايات، أما (الضحك الجيد) حالة نفسية تتمحور حول نتيجة معينة، بمعنى: يكون الضحك محققاً لغايات عدة أو من أجل أهدافٍ أخرى، منها سعادة الذات وتفاعلها مع المحيط، ثم الخروج من تأزم نفسي معين.بالإحالة على ما سبق فإن صعود الهامش هو صورة من صور تلبية حاجات الذات بكل ما فيها من متغيرات نفسية واجتماعية، وتأثيرات السياسة عليها دائماً ما تكون محدودة؛ لأن الصعود يساوي

السعادة، والوضع السياسي في مجتمعاتنا، وبالتحديد العراق لا يقدم ما يحقق صعوداً للهامش بكل أشكاله وأنواعه، بل يمارس ضغوطاً متعددة، وميسلون هادي تركز على هذه الجزئية باستنادها على المجتمع والشخصية وعلاقاتها بالصعود والتغيير.

المبحث الثاني مركزية الهامش الثقافي

شهد التاريخ البشريّ عبر الأجيال التي عاشت الحياة انبثاق ثورات جماعيّة، واحتجاجات فرديّة كان الهدف منها تقييد السلطة بالقوانين، والعمل على ترقيق عنفها، وتحديد انفعالاتها، وتنعيم خطابها، موصلا إلى إيجاد الديمقراطية التي تعزز مكانة الفرد في المجتمع من هنا ظهرت للعيان مؤسسات: البرلمانات، والصحافة، ومنظّمات المجتمع المدنيّ التي تسلّحت جميعها بفكرة مؤداها: إنّ الشعب هو مصدر السلطة لا رؤوسها، وأن تلك المؤسّسات على اختلاف فاعليّاتها ما وجدت إلا لدرء السوء عن الإنسان في ظلّ حضور فكرة التسامح والشعور بالمسؤوليّة التي يريدها الهامش وينكرها المركز.إن الهامش يتحول من الانعزال إلى الانفتاح الثقافي على الآخر ومحاولة الاندماج معه وحتى التفوق عليه، من خلال جملة من المتغيرات الواجب حصولها في شكلية الشخصيات؛ لأن التغيير لا يأتي من فراغ بقدر ما يستند على جملة من العوامل الثقافية التي تجعله أكثر مرونة ورغبة في مغادرة الهامش بكل ما فيه من حمولاتٍ سلبية، وميسلون هادي تركز على فكرة الصعود والانتقال وحتمية التغيير كجزء من مساعدة النفس للنفس والانتقال بها لعوالم مختلفة.تتجلى أفكار الصراع مع الذوات الأخرى من خلال تحول النفس من الانعزال والانزواء إلى الاندماج ومحاولة التفوق ثقافياً **((خلع الرجل الربطة على رأسي، وراح يفك أزرار قميصي الأبيض، ولكن الأزرار كانت كثيرة العدد ولم تكن لتنتهي كما تنتهي عادة أزرار أي قميص))** [١٨]، فمعيار التفوق (خلع الرجل) وفيه إشارة لطبيعة الفكر المنفتح المغادر للانعزال لعدة اعتبارات مجتمعية، منها التحرر من قيد العادات والتقاليد، وحتى تركيب (ولكن الأزرار كثيرة) محاولة لبيان القيود المتعددة في مقابل الرغبة في مغادرتها.

تلك القيود لا تنفك تشكل وسيلة ضغط على الهامش الذي يحاول أن يثبت نفسه ثقافياً **((واستغرب الآن لماذا نسيتها بعد ذلك ولم أعد اتذكر، من ثلاث سنوات مرّت بين المتوسطة والبكالوريا، سوى ضرب مبرح ضربه لي أبي لأنه عثر على مجلة فنية بين كتبي..))**[١٩]، إذ الصحف والمجلات صورة من صور التعبير الثقافي، ومطالعتها صعود من منطقة الهامش ثقافياً، إذ يصبح مواكباً لتحولات المجتمع، وبالتالي معيار التفوق على الذوات الأخرى المنزوية تحت عباءة الجهل يصبح أكثر تحققاً وواقعاً، فـ ((كل وعي هو، قبل كل شيء، تمثيل ملائم لقطاع معين من الواقع على وجه التقريب))[٢٠].تلك الحمولات التي تصيب الهامش المجتمعي بفعل قيد العادات دائماً ما تركز عليه ميسلون هادي كصورة للنقد الاجتماعي الصريح**((وتمنيت عندما أكبر وأتزوج أن لا أرزق سوى بالبنات، فنكون سعيدات مثل أخوات تبارك، ولن أضع الحجاب فوق رؤوسهن، ولن أذهب إلى الاضرحة والمقابر، ولن أزور أحداً من أقرباء أبي الذين يأكلون الطعام بأيديهم ويتجشؤون بعده..))** [٢١].يتجلى الدفاع عن حرية المرأة في الحركة والحياة من خلال مغادرة مجموعة من العادات التي تنتشر مجتمعياً، لتنتشل الشخصية من الهوامش السلبية التي تعانيها (لن أضع– لن أذهب– لن أزور) وهذا انطلاق ثقافي جديد من حياة العزلة إلى حياة الاندماج مع المجتمعات الجديدة التي تغادر التقليد القديم، وتعدّه صورة من صور التخلف والجهل وعدم القدرة على الانفتاح ثقافياً تجاه الآخر.والصراع الثقافي مع الآخر ليس مجرد صراع عادات وتقاليد وانعزال بل صراع فكر ضد فكر((لم يكن جميل مهتماً بأفكار أخيه إلا لخلق حالة توازن يحتاجها مع العلمانية التي تحيط به من كل مكان: الشيوعية التي يؤمن بها جاره وصديقه الحميم حيدر سلام من جهة، والقومية العربية التي أحاط البعثيون الناس في السبعينيات من جهة أخرى))، فالعلمانية والشيوعية والقومية صراعات فكرية تحول التضاد مع أفكار المركز السلطوي، بمعنى: صراع رؤية في الحكم ضد رؤية أخرى ترى أنها ممكن أن تغادر الهامش بما تمتلكه من صور وتوقعات حول الطرق المختلفة في إدارة الواقع والتأسيس لمستقبل أفضل، لكن الحوار هنا هو حوار ثقافي بين الأفكار من خلال استعراضها(حالة توازن يحتاجها مع العلمانية)، فكل فكرة هي هامشية من حيث السيطرة إذا ما قورنت مع أفكار السلطة الرافضة لها، لكنها من خلال هامشيتها تعطي صورة ثقافية عن الصراع الثقافي المتعدد مع الرؤية السلطوية المركزية غير المنفتحة. والنقد المجتمعي أو محاولة الثورة ثقافياً على الواقع ضرورة ملحة في نصوص ميسلون هادي **((تبارك كانت تمازحني وتقول إن النساء المحجبات بعد ألف عام سيتطورون وفق نظرية النشوء والارتقاء ويصبحن محجبات بالخلقة.. يعني بالولادة. مثل الأيائل ذوات القرون التي تشبه الأشجار..))** [٢٢]، فالنقد المجتمعي هنا يظهر من خلال التهكم على الهامش بل جعله مكتسباً؛ لأنه يرتبط بصراع التحرر والتقييد (بعد ألف عام سيتطورون...) كنوع من التهكم ومحاولة وأد الأفكار الهامشية التي لم يجني المجتمع منها إلا التراجع.تصبح الذات المهمشة راغبة في ترك صورة والتمسك بأخرى أكثر أملاً **((أصبح للحياة طعم غريب ومختلف يجعلها تحلم به وهي صاحية، وأحياناً تضحك مع نفسها عندما تأكل أو تشرب أو تمشط شعرها أمام المرآة))**[٢٣]، فالعالم الموازي أو الخيال الموازي هو الخيال الحالم الذي يقدم صورة افتراضية تغادر الهامش ولو على سبيل التمني وليس الواقع، وهذا جزء من مغادرة الانعزال ومحاولة العيش في عالمين سلبي واقعي، وعالم افتراضي متأمل.لكن يبقى الواقع هو الغاية من التغيير الثقافي، إذ

يكون الارتقاء به هو الطموح والهدف **((فجأة انهارت أربع سنوات من التحرك بشيء من الحرية ونشر الأفكار بين المريدين والشباب، وانفتاح الجامعة على حالة من الوعي وتبادل الأفكار المختلفة أيام الجبهة الوطنية))** [٢٤]، فعنصر الديمومة مهم جداً في صياغة هذا الإطار الثقافي، لكن دخول القيد الزمني هو ما يجعل الصراع الثقافي مع الآخر يأخذ طابع القوة والضعف والصعود والهبوط (فجأة انهارت أربع سنوات) فدائماً ما يعكر الدخول الطارئ للواقع بكل ما فيه من جهل صفو الفكر والتقدم الذي يأخذ وقتاً أكثر لتصحيح المفاهيم المختلفة.والبحث عن الديمومة الفكرية وتطورها صورة من صور انفتاح الذات على التغيير.**((كنت اتطور بطريقة غريبة نحو الاعتدال والعقلانية.. وصديقي حيدر سلام كان يعزو ذلك التطور إلى كوني أبذل جهداً واعياً من أجل أن أبدو متوازناً في تصرفاتي، أو محايداً في الحكم على تصرفات الآخرين.. ويبدو أن معيشي في لندن واكتشافي للكثير من نظريات المؤامرة الوهمية التي ملأت رأسي طيلة تلك الأعوام، كان له أثر واضح في تكوين مزاجي الذي لم يكن بالأساس متطرفاً..))** [٢٥]، إذ يظهر أثر الاختلاط في جعل الذات متفاعلة مع الآخر؛ لأن الاختلاط يقدم التجربة والتجربة تقدم التنوع والتنوع يجعل الصعود الثقافي للشخصية ممكناً، بل يمده بما يحتاج من رؤى تحسن واقعه ومستقبله، فعلى حد تعبير **لوكاش** أن الأديب **((**ليس هو خالق شكل، بقدر ما هو كاشف عن شكل، فالشكل مسجّل من قبل في المعطيات الاقتصادية والاجتماعية التي يأتي توضيحها**))**[٢٦].يحتاج الوعي الثقافي إلى القراءة والمثاقفة والتحاور مع التجارب المتعددة والكشف عنها **((بعض الكتب ساعدتني في اتخاذ قراري، وأصبحت مختلفاً في صفاتي داخل هذا العالم المتدين المنغلق على نفسه.. بل سعيداً عندما صرتُ أسمع الآخرين يقولون لي دائماً: أنت إسلامي منفتح ومميز عن غيرك، فأدرك أن ذلك التميز يزيد من تمسكي بمكاني))**[٢٧]، إذ الكتب تسهم في تغيير السلوك الذي يؤدي إلى تغيير الواقع والانفتاح على الآخر ومحاولة الاندماج معه (ساعدتني– مختلفاً–أدرك) إذ المساعدة والاختلاف والإدراك صورة من صور الوعي الذي ينتقل بالهامش إلى أن يحقق حضوره الفعّال داخل المجتمع. لكن الرؤى لا تتوقف بل دائماً ما يصيبها التغيير والتجدد **((فهمت أن رجولة محمد قائمة على حب الرياسة.. وعلى حب التمرد من أجل التمرد نفسه، لا من أجل فكرة أو قضية.. فكان يكتب بقلم الرصاص لكي يدافع عن قضيته الأولى.. ثم يمسح ما يكتبه بلمح البصر، ويستبدله بقضية أخرى))**[٢٨]، إذ التجدد هو صورة من صور صعود الهامش وتشكيله جبهة حوار فكري يواكب الواقع في كل الأزمنة (ويستبدله بقضية) وكأن التجدد الفكري صورة وقائية تحمي الشخصية والمجتمع من التقوقع في الهامش والانزواء تحته.يمكن أن يقدم التجدد والانفتاح الفكري صورة محايدة تجعل الشخصية تبحث عن الصعود والتركيز على الذات **((حاولت تقديم صورة محايدة للمكان بعيدة عن الصور التي تستفز الطوائف الأخرى))** [٢٩]، إذ (صورة محايدة للمكان...) تركيب إشاري يقوم على فكرة عدم مقدرة الشخص على تقديم صورة محايدة إلا إذا كان على قدرٍ من الانفتاح الثقافي الذي يؤهله لمغادرة حياة الانعزال؛ لأن الأقوال المؤثرة تحتاج إلى مادة ثقافية متنوعة.فالإفادة من التجارب المختلفة وبالتحديد التجارب الناجحة المنفتحة على الرؤى هو الطريق لمساعدة الهامش على الحضور **((وقد استلهم مساعد المخرج الفكرة هذه من نصيحة النجوم الذين يبتكرون أنا أخرى تمزج بين شخصية النجم وشخصية أخرى متخيلة تساعدهم على تقديم أفضل أداء لهم على الإطلاق..))**[٣٠]، فالشخصية المتخيلة هنا هي الشخصية المنفتحة التي تحقق الاندماج، والخيال هنا خيال متعدد الأقطاب، يقدم التفاعل مع الذات وصعوداً بالهامش. والأمل صورة من صور الصعود والذات الحالمة هي الموجهة لهذا الصعود**((لا زالت الشمس طيبة.. لا زال النهار دافئاً. لم أشم رائحة الخطر.. لم أشعر بالخوف من القتل.. فقد منحتني الشمس إحساساً بالأمان.. وتملكني إحساس بأني ملاءة بيضاء شاسعة..))** [٣١]، ولهذا حدود النص تكون في الممكن (لم أشم–لم أشعر) أكثر من المتحقق؛ لأن الوعي القائم ينشد الاستشراف والبحث عن المتغيرات الجديدة، وهذا التتبع ليس بالأمر السهل كما يرى **غولدمان** إذ ((مصدر الصعوبة في الغالب، راجع إلى الطابع الانعكاسي لكل تأكيد على الوعي))[٣٢], إن صورة المقابلة بين الماضي والحاضر هي صورة من صور المقارنة بين الوقائع الثقافية، والحياة بشكلها العام، وقول الروائية: **((كما كانت تفعل ذلك مراراً في أيام الصبا، فتخرج من الكلية التي تداوم فيها، وتنشد بيتنا الأليف الذي يبدد العتمة عن روحها، ويجعلها تعرف معنى الحياة ومباهجها..))**[٣٣]، فاستحضار الماضي هنا قلب الدلالة، إذ الماضي هو المشرق الذي كان الهامش يتحرك فيه ويرتقي ويتقدم، وكأن النص يقارن بين صورتين، صورة الازدهار الفكري الماضي وصورة القيد الآني الذي يمارس ضغوطه على المجتمع ويجعل الاندماج مع الآخر صعباً ومعقداً فـ (يبدد العتمة) صعود بالمهمش والمتعب إلى آفاق أخرى تجعل الحياة الحزينة الحالية صورة من صور التحول والعوة إلى الماضي المشرق، فالاسترجاع كان في حضور اختيار زمن تأوي إليه النفس للراحة، وهذه الراحة نوع من الاستشراف لأنه يريدها ويرغب بها.إنّ طبيعة الشخصيات تتغير تبعاً لواقعها واندماجها مع الآخر يتطلب جملة من الحيثيات التي لا تأتي من فراغ **((.. وهذه صفة من صفات إنسان برج الدلو، إنه طريف ومتمسك بحريته واستقلاله، وإذا ثار هذا الإنسان ضد التقاليد الموروثة، فلاعتقاده إن العالم بحاجة ماسة إلى التغيير الجذري المستمر.. ومن عادته أيضاً العيش في المستقبل بدلاً من الحاضر مستبقاً الزمن عشرات السنين، ولهذا يهرب من الماضي ويكرهه بشكل عجيب..))** [٣٤]، وهذه

صفة تدلل على الحضور، إذا كان ما يصفه موجوداً فعلاً، وعلى الغياب إذا كان ما يصفه هو من الرجاء أو التمني في الوجود (برج الدلو)، إذ هذا التمني في تفضيل هذه الصفة يمكن أن يعدّ من الأشياء النفسية الحاضرة في حركة الشخصيات، فهو((ينظر إليه على أنه يمثل ضمير الجماعة غير أنه مروي بضمير المفرد))[٣٥].فيجسدها الغياب في لغة التمني والرجاء ورغبة الحضور. إنّ فضاء التهميش لا يطاق؛ فهو أسوأ ثقافة بشريّة تعاون على صناعتها، ووجودها الجهل، والظلم، والسياسة التي تتّبعها السلطة، وأن الإنسان الذي عاش، ويعيش تحت نيرها لا بد له ان يستفيق بعد أن تقترن فكرة التهميش عنده بضرورة الخروج على المركز، والتمرد عليه، وخرق نسقه إيذانا بفضّ حُجب المسكوت عنه، وإعلان الصرخة، وكشف مضمر الانعتاق، والعبور الناجز نحو تحقّق الذات بتقويض مسلمات الارتهان، وتحقيق الحلم، فكلّ ذات مهما كان تطلّعها تهدف إلى تأكيد وجودها بعيدا عن العزل، وتعمية النظر، ووصايا الآخر[٣٦].ولعل تلك الدلالات الثقافية سبق أن عثرنا عليها في تضاعيف روايات ميسلون هادي التي كما ظهر لي نذرت رواياتها لنصرة الهامش أمام وقاحة المركز. لم يكن تغيير نمط التفكير بالهامش سهلا في الروايات العراقية، فقد جاء بعد سلسلة من المحاولات التي أرادت التمرّد على المؤسّسات، وكشف ثقافتها، فقد نوقشت الأولويّات، مسبوقة بالنوايا، فكان لا بد أن يتحرّر الهامش من العقبات، والمحدّدات التي اتّخذها المركز أساسا له؛ تلك التي جعلت التاريخ نفسه إقامة للأقوياء، بمعنى أن يتحرّر من الهامش من الأساس الادعائي، والرؤيوي للمركز كلّه، وهو يقسّم العالم إلى شمال وجنوب؛ أي إلى عالم متقدّم وآخر متأخّر يحيل على فكرة: الغرب: الشرق، بل قسّم المواطنين إلى سادة، وعبيد، وإلى مركز، وهامش، وعاصمة وأطراف، وغنيّ وفقير، حتى غدت فكرة العاصمة، وما تشكّله من مخيال مركزي، وسلطوي مكانها لتجمّع الإدارات، والمراكز لتكون أداة سلطويّة في يد الكولونيالي/المستعمر لضرب الأطراف [٣٧]. في عقر تفكيرها، وهذا ما فعلته ميسلون هادي في رواياتها التي انتصرت للهامش والمهمشين لأنهما القاعدة التي تستند إليها الحياة في العمل والانتاج.إنّ انشغال روايات ميسلون هادي بتلك التشكيلات الدلاليّة الخاصة بالهامش التي يحضر فيها عنصرٌ معيّنٌ من عناصر الحياة ليستدعي عنصرا آخر مضادّا له في المعنى، وماضيا معه في الاتجاه من شأنه أن يسهم في تسرب معنى الهامش إلى العمق صانعا للسياق تأويليّة محمّلة بدلالات يمكن استثمارها في رصد الروايات والبحث في طبقاتها التي تنتصر للمهمشين.

الخاتمة:

١. يتبيّن أن مركزية الهامش في روايات ميسلون هادي تمثّل مشروعاً فكرياً يعبّر عن تحوّل في وعي الذات العراقية، إذ ينتقل الهامش من موقع الضعف إلى موقع الفاعلية عبر الوعي والعمل واللغة والانفتاح الثقافي، ليصبح أداة للتغيير وليس مجرد حضور سردي عابر.

٢. كما توضح الدراسة أن الكاتبة تستخدم تقنيات فنية تُسقِط مركزية السلطة وتعيد توزيع القوة داخل النص، حيث تتقدّم الشخصيات المهمّشة نحو أدوار مؤثرة نفسياً وثقافياً، مقابل تراجع بنية المركز التقليدية التي لم تعد قادرة على مواكبة التحوّلات.

٣. وتظهر النتائج أن الرواية العراقية الحديثة لدى هادي أصبحت فضاءً لإعادة التفكير بالعدالة والحرية وتمثيل الهوامش، مما يجعل مركزية الهامش انعكاساً لتحوّل عميق في الوعي الجمعي يقوم على مقاومة الإقصاء وتوسيع الانتماء وصناعة أفق إنساني أكثر رحابة.

المصادر والمراجع:

١. التاريخ حقائق مشتركة ووسيلة لاستعادة الذاكرة, د. اليامين بن تومي, جريدة المساء, الجزائر, ٥/ تموز, ٢٠٢٣.

٢. الحضور والغياب في شعر محمود درويش (لا تعتذر عما فعلت)، عبد الخالق عيسى، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ٢٠١٤م.

٣. رواية (العرش والجدول) ، ميسلون هادي.

٤. رواية (العرش والجدول) ، ميسلون هادي.

٥. رواية (الغرفة وضواحيها)، ميسلون هادي.

٦. رواية (انتظرني في البيت) ، ميسلون هادي.

٧. رواية (زينب وماري وياسمين)، ميسلون هادي.

٨. رواية (ساعة في جيب الملك) ، ميسلون هادي.

٩. السلطة والأدب: ثنائيّة المركز والهامش: د. فاضل عبود التميمي: مجلة الأديب ع/ ١٢/ ٢٠٢٥ .

١٠.فسحة النص _النقد الممكن في النص الشعري الحديث_، عبد العظيم رهيف السلطاني، دار الكتب الوطنية، بنغازي، طرابلس.

١١.القرن العشرون (المداخل التأريخيّة والفلسفيّة والنفسيّة: ك. تلوولف وآخرون: ترجمة: إسماعيل عبد الغاني وآخرون: المجلس الأعلى للثقافة: القاهرة: ط١: ٢٠٠٥.

١٢. ما النقد الثقافي؟ ولماذا؟: عبد النبي اسطيف: مجلة فصول: عدد خاص بالنقد الثقافي: م٣/٢٥ ع ٩٩ربيع ٢٠١٧.
١٣. النقد الأدبي والعلوم الإنسانية، جان لوي كابانس، ترجمة: فهد العكام، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٢م.
١٤. النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية: عبد الله محمد الغذامي:٢٠٠٠.
١٥. الوعي القائم والوعي الممكن، لوسيان غولدمان، ترجمة: محمد برادة، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٦م.

هوامش البحث

(١) ينظر: ما النقد الثقافي؟ ولماذا؟: عبد النبي اسطيف: مجلة فصول: عدد خاص بالنقد الثقافي: م٣/٢٥ ع ٩٩ربيع ٢٠١٧: ٢٢- ٢٣.
(٢) ينظر:المصدر نفسه :٢٢..
(٣) ينظر: القرن العشرون (المداخل التأريخيّة والفلسفيّة والنفسيّة: ك. تلوولف وآخرون: ترجمة: إسماعيل عبد الغاني وآخرون: المجلس الأعلى للثقافة: القاهرة: ط١: ٢٠٠٥: ٢٥٢.
(٤) الحضور والغياب في شعر محمود درويش (لا تعتذر عما فعلت)، عبد الخالق عيسى، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ٢٠١٤م، ٢.
(٥) النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية: عبد الله محمد الغذامي:٢٠٠٠: ٢٠.

(٦) رواية (زينب وماري وياسمين)، ميسلون هادي، ٥.
(٧) المصدر نفسه، ١٤.
(٨) المصدر نفسه، ٢٧.
(٩) رواية (زينب وماري وياسمين)، ٦٨.
(١٠) المصدر نفسه، ١٠٩.
(١١) رواية (زينب وماري وياسمين)، ١١٢.
(١٢) رواية (الغرفة وضواحيها)، ٨٣.
(١٣) المصدر نفسه، ١٤٣-١٤٤.
(١٤) رواية (انتظرني في البيت)، ١١.
(١٥) رواية (الغرفة وضواحيها)، ٨٣.
(١٦) رواية (ساعة في جيب الملك)، ٢٤.
(١٧) المصدر نفسه، ٨٩.
(١٨) رواية (زينب وماري وياسمين)، ١٣.
(١٩) رواية (زينب وماري وياسمين)، ٤٩.
(٢٠) الوعي القائم والوعي الممكن، لوسيان غولدمان، ترجمة: محمد برادة، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٦م، ٣٥.
(٢١) رواية (زينب وماري وياسمين)، ٥٤.
(٢٢) رواية (زينب وماري وياسمين)، ٥٩.
(٢٣) رواية (العرش والجدول)، ٢٦.
(٢٤) رواية (العرش والجدول)، ٦٠.
(٢٥) المصدر نفسه، ٨٣.
(٢٦) النقد الأدبي والعلوم الإنسانية، جان لوي كابانس، ترجمة: فهد العكام، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٢م، ٨٣.
(٢٧) رواية (العرش والجدول)، ٨٥.
(٢٨) المصدر نفسه، ١٠٥.

(٢٩) رواية (العرش والجدول)، ٩٩.

(٣٠) رواية (الغرفة وضواحيها)، ١٨٦.

(٣١) الرواية: ١٩٥.

(٣٢) الوعي القائم والوعي الممكن، غولدمان، ٣٣.

(٣٣) رواية (ساعة في جيب الملك)، ١٨.

(٣٤) المصدر نفسه، ٣٦.

(٣٥) فسحة النص _النقد الممكن في النص الشعري الحديث_، عبد العظيم رهيف السلطاني، دار الكتب الوطنية، بنغازي، طرابلس، ٢٤.

(٣٦) السلطة والأدب: ثنائيّة المركز والهامش: د. فاضل عبود التميمي: مجلة الأديب ع/ ١٢/ ٢٠٢٥ ص٨

(٣٧) التاريخ حقائق مشتركة ووسيلة لاستعادة الذاكرة, د. اليامين بن تومي, جريدة المساء, الجزائر, ٥/ تموز, ٢٠٢٣.